المحاضرة الثامنة: نظرية الحرية (الليبيرالية)

تمهيد:

نتيجة للتراكمات التي أحدثها النظام الاقطاعي وتحالفه مع الكنيسة ورجال الدين ضج المجتمع الأوروبي من وطأه النظام التسلطي الذي قوبل بمعارضه عنيدة عنيفة من قبل المفكرين والتنويرين الأوروبيين، والذي توج بميلاد فلسفه الحرية والتحرر الانساني وهذا ما كان أن يتم لولا ثورة الطباعة والشلالات الدم التي قدمت قربانا لضريبة الحرية في المجتمعات الأوروبية، إن ميلاد نظرية الحرية جاء بسبب الانتقادات الحاده التي أحدثتها نظرية السلطة والحق الالهي في نفوس ووجدان الجماهير الأوروبية والتي توجت بإقصاء كل رموز الهيمنة من رجال الدين والاقطاعين الكلاسيكيين وحل محلها نظرية الحرية أو المذهب الحري الليبرالي والذي ما كان أن يجيء لولا الكفاح والنظام المستمرين الذي قدمه الثوار الانجليز والفرنسيون والامريكيون معا والذين نجم عنه تصاعد وتيره مسار الديمقراطية والحريتين السياسية والدينية واتساع نطاق التجار والرحلات كل ذلك ساهم في دفن آخر بقايا النظام العالمي القديم والذي مهد ببروز نظرية الحرية والتي بدأ سطوع شمسها ونورها خلال القرن 17 وازدادت سطوعا في القرن الثامن عشر.

مفهوم نظرية الحرية

هي النظرية التي طبقت وما زالت تطبق في المجتمعات الغربية التي تنتهج الخط الرأسمالي الليبرالي، ويرى أصحاب هذه النظرية بأن الفرد ورفاهيته هي الغاية الاولى والأخيرة من وجود المجتمع من منطلق أن المجتمع وجد لمصلحه الفرد ولذلك يجب ان نأخذ الاحتياطات لحمايه الفرد من الاستبداد سواء كان استبدادا فرديا أم مجتمعيا على مستوى الدولة، وأن الدولة ليست الا وسيطا يمارس الفرد من خلالها كل نشاطاته فاذا حاولت الحكومة ان تقف في وجه هذا النشاط فيجب على الأفراد أن يحاربوها بكل ما لديهم من قوه ويسعوا إلى اسقاط الحكومة والاتيان بحكومة جديده تتفق والمذهب التحريري.

المنطلقات الفلسفية لنظرية الحرية:

بنى التيار الليبرالي التحرري آرائه من خلال الايمان المطلق بالإنسان من حيث هو انسان وأكد الآباء الروحيون لهذا التيار أن الانسان يختلف عن الحيوان بأشياء كثيره بما يمتلك من قدرات هائلة جدا على

التفكير وقدرته على التذكر، كذلك على استخدام خبراته السابقة في الوصول إلى نتائج يبني عليها احكاما ينبغي ان تكون الصحافة جسرا اعلاميا يربط الحكومة والناس.

وعلى هذا الأساس فإن فلسفه هذه النظرية تعتبر أن الانسان حيوان عقلاني وله حقوق طبيعية هي التي أوجدت النظرية الليبرالية أو النظرية الحرية خلال القرون السابع عشر الثامن، عشر والتاسع عشر ومن هؤلاء الفلاسفة نذكر:" **جون ميلتون، جون سكين، جون ستيوارت ميل**" وقد أجمع هؤلاء على الحريات العامة والفردية وأكدوا أنه بمقدور الناس اتخاذ قرارات صعبه إذا كانت هناك حريات تعبير واذا كانت الصحافة حرة وتعمل على كشف الحقية.

نشأة الحرية:

ظهرت هذه النظرية في المجتمعات الاوروبية نتيجة لتطورات فكرية ولأحداث سياسية واجتماعيه خلال الفترة الواقعة ما بين القرنين 17 و 18 الذي كانت فيها الرأسمالية في مراحل نشأتها الأولى حيث كانت الصحافة تهتم بحريه التعبير والرأي وحرية الصحافة ليس حبا بالحرية بل خدمة الأهداف الرأسمالية الاحتكارية، وقد استخدمت سلاح النشر سلاحا قويا بيدها للتأثير على الأحداث، و إن الفكرة الأساسية لهذه النظرية انطلقت من انجلترا تحت المضمون التالي: "**أن لك الحق تعطي للناس الأفكار وان تستلم فهم الأفكار**"

من جهة أخرى فان الأسباب غير مباشرة التي جاءت بنظرية الحرية هي حركه الاكتشافات الجغرافية التي شهدتها أوروبا وعملت فجأة على توسيع أفق الفرد وكذلك ظهور الطبقة الوسطى أنداك من العوامل التي أثرت في تطور نظرية الحرية ذلك أن مصالح هذه الطبقة وأكثرها من التجار كانت تتطلب وضع حد للخلافات الدينية من جانب والامتيازات الكاملة التي كانت تعطى لطبقه النبلاء من جانب اخر، كما كانت تتطلب وضع حد لسيطرة الحكام ووضع أسس جديده للحرية الاقتصادية التي يجب أن لا تتقيد بهذه القيود التي اشرنا اليها، أو ترتبط بها، والأهم من ذلك أنه خلال القرن 17 شهدت أوروبا تطورا فلسفيا أدى إلى ظهور المبادئ التحررية، وهي المبادئ التي وضعت موضع التنفيذ في القرن الثامن عشر، وكانت انجلترا تبدو بمثابه المركز الرئيسي لحركة سياسية انتصر فيها البرلمان على التاج، وعندما ظهر نظام الأحزاب أخذ وجه الحياه الأوروبية يتغير تغيرا يوشك أن يكون تاما من جميع جوانبه.

- من جهة أخرى في ذات السياق فإن هذه النظرية ظهرت بعد عده أحداث وحركات تحرريه ثوريه غيرت مسار أوروبا والعالم بأجمعه حيث أعلنت الثورة الفرنسية سنه 1789، وهي الثورة التي خلقت

ميثاق حقوق الانسان وهي الثورة التي كان لها مدلول اقتصادي ظهرت تحت شعار أطلقه الليبراليون الكلاسيكيون بزعامة **آدم سميث:** "**دعه يعمل دعه يمر**" ومعنى ذلك ترك الفرد حرا في مزاوله نشاطه الفكري دون تدخل من الحكومة في هذا النشاط بأي شكل من الأشكال، وذلك أن الدولة يجب أن تبقى وظائفها في ثلاثة محاور:

- القضاء
- الدفاع الخارجي عن الدولة
- حماية الوطن من الداخل

وعلى ضوء ذلك فقد أتاحت نظرية الحرية أثمن الفرص من الناحية الاقتصادية لظهور الديمقراطيات الرأسمالية وظهور الاحتكارات بأوسع معانيها، وفي ظل النظام الرأسمالي تحقق الكثير من الانتصارات الشعبية كالتعليم وحق الانتخاب وحق الفرد في ممارسه نشاطه الاجتماعي والتنافس في الحصول على أكبر قدر ممكن من الربح أو النهب المادي وزيادة الانتاج بالجملة، وقد عادت هذه المميزات على الشعوب والمجتمعات بالرفاهية والتقدم حسب ما يزعم منظروها، بينما الحقيقة تؤكد أنها خلقت واقعا مأسويا رهيبا.

كما أن الثورة الأمريكية أي ثوره الاستقلال الأمريكي كان لها دورا كبيرا في بروز هذه النظرية حيث جاء اعلان استقلال امريكا بما تضمنه من تأكيد على حريه الصحافة، كذلك مبادئ حقوق الانسان والنظام الليبرالي للإعلام يرتبط بالليبرالية نفسها كفلسفة وأسلوب حياة، ويقصد بها الإشارة الى التطور الفكري الذي حدث في القرنين 17 الثامن عشر في غرب اوروبا حيث وضعت الطبقة البرجوازية أسس حقها الكامل في اداره الدولة بعد ان أزاحت من طريقها الحواجز التي كانت تعيق حريه الفرد حيث حل مبدأ سيادة الشعب محل الحق الالهي للملوك.

هذا وقد جاءت نظرية الحرية لتكون أول نظرية تتعلق بالإعلام الجماهيري خلال القرنين 16 والسابع عشر مستمده مشروعيتها من الانجازات الكبيرة التي حققتها الثورة الانجليزية والفرنسية في جميع مناحل الحياه العلمية الجغرافية والفلسفية، وفتحت الافاق لقوه العقل الانساني الجديد بعيدا عن العقل الديني الذي يعتمد على الخرافة والمعرفة الغيبية والموروثة والمنقولة.

إن مجد نظرية الحرية جاء من منعطف الحركات الإصلاحية التي تحدث سلطه الكنيسة الرومانية وأسفرت هذه الحركة على نماذج للمناقشة والحوار تختلف اختلافا جذريا عن نظرية السلطة بل ان هذه الحركات

ساهمت في بروز الطبقات الوسطى ونمو حجمها المتزايد تجسيدا لحركه التغيير الاجتماعي في العالم ورفضا لفكرة الاوضاع الاجتماعية الثابتة الدائمة.

هذا وقد ساهمت الأفكار التنويرية التي قادها فلاسفة اوروبا ضد الحكم الاستبدادي المطلق المتحالف مع الكنيسة ورجال الاقطاع، حيث جرى صراع دموي عنيف ما بين أنصار الحرية وأنصار الاستبداد على مدى قرن ونصف حيث اذكى نيران هذا الصراع لدى شعوب **فلسفه نظرية العقد الاجتماعي** وموجز هذه النظرية أن الانسان ولد حرا وأن مصدر حريته وادميته الإنسانية، فإنه لا يقوم القوي بابتلاع الضعيف وسيادة شريعة الغاب، فقد اتفق الافراد على تكوين مجتمع يرأسه حاكم وسلطة في اطار دولة يتنازل لها الافراد عن بعض حريتهم البدائية من أجل ان يرى الحاكم باقي الحريات فان اعتدى الحاكم على هذه الحريات يكون قد خرج على العقد الاجتماعي ووجب عزله وتبديله بحاكم جديد يلتزم باطار ومضمون العقد الاجتماعي.

ومن منطلق هذه النظرية قامت ثورات ثلاث هي **الثورة الانجليزية الثالثة** ،1770 و**الأمريكية** 1776 وتم وضع دستورها 1778 ليبدأ تطبيقه عام 178 **والثورة الفرنسية** عام،1789 والأهم من الثورات السابقة التي اجتاحت اوروبا وامريكا وخاصه الثورة الانجليزيو ظهرت ثوره فكرية خلال القرنين 17 وال 18 وكانت هذه الثورات تدور حول اعتقاد الانسان بأنه سيد نفسه وأنه يمكن عن طريق العلم والفهم أن يحقق أسباب القوة وان يفهم وأن يسود العالم بطريقه افضل وكان الصوت الالهي يهيب به قائلا:" لقد وهبناك الوجود ولكن لن نهبك بعده شيئا فناضل ولتحيا وتسود او استسلم فتموت او تعيش كالعبيد "

وقد انسحبت هذه الثورة الفكرية على العلوم الطبيعية والانسانية على السواء في حقول الفيزياء والكيمياء والاخلاق والدين والتاريخ والقانون والسياسة، أي أن الانسان وقد عرف من القوه الحقيقية والفكرية والعضلية قد وهبها الله للجميع دون استثناء وان هذه القوه وكواكبها عن طريق تليسكوبات، وان هذا الانسان الذي اكتشف الدورة الدموية وتحدى في حواره الكنيسة الرومانية أخذ يشعر بعضلاته ورفض أي قيد على حريته وتفكيره في حل مشاكله الدينية والسياسية والاجتماعية دون خوف أو رهبة تأتيه من مده احتكار القوه والحكمة.

وفي المجال الاقتصادي فقد دعا **آدم سميث** إلى قوانين السوق الكلاسيكية التي تدعو إلى تدخل الحكومة في السوق لبأنه سيظلم نفسه أي أن أفضل الحكومات بالنسبة **لادم سميث** مثل ما هي بالنسبة **لجفرسون** هي التي تحكم أقل وانتعش النشاط الفكري للحصول على أكبر عائد من الحل في سوق العمل، فقد نجحت هذه

الثورة الفكرية في تحويل مركز الاهتمام من الافكار الدينية واللاهوتية إلى العالم أي من التناقضات الدينية إلى البحث العلمي، وكانت افكار **نيوتن** عن العالم الذي يسير بنفسه باستمالة الزبون فيما كانت أفكار **لمارك** و**داروين** عن التطور والبقاء للإصلاح في الصراع الحر، فقد نجح المفكرون الغربيون خلال القرن 17 من تأسيس روح التسامح التي استمرت حتى أوائل القرن الماضي ومن خلال تحويل انتباه الانسان من التناقضات الدينية إلى البحث العلمي ، ولكن هذا التحول كما يقول المؤرخ البريطاني **ارنولد توينبي** فيما اتخذ منذ أيامهم الى أيامنا أبعاد مبالغ فيها، لم يكن ليرضى عنها هؤلاء المفكرون حيث أبعدنا العلم والتكنولوجيا عن الدين وتقديس الشخصية الانسانية الفردية التي تمثل الحضارة الغربية فعلا اي أن الثورة الفكرية كونت أساس فكرة الحرية بالنسبة لوسائل الاعلام الجماهيرية او ما يعرف بالاتصال الجماهيري.

المبادئ العامه لنظرية الحرية:

أكدت نظرية الحرية على قدسية حرية التعبير والرأي والصحافة وحرية العقيدة والعبادة، ومع ذلك فإنها ارتكزت على جمله من المبادئ العامة والتي تتمثل فيما يلي:

- أن الانسان من حقه أن يتعرف على الحقيقة، وأن يسعى اليها ويهتم بها في كل وقت.
- ان الوسيلة الوحيدة للوقوف على الحقيقة هي أن تعرض بالمناقشات الحرة المفتوحة فاذا تضاربت الآراء في هذه المناقشات فلا ضرر من ذلك في الواقع اذ الحقيقة كما يقول **ستيوارت ميل** لا يمكن أن تظهر الا إذا عوضت من جهات شتى
- ان الآراء وان اختلفت اختلافا بعيدا أو قريبا فانه ينبغي أن يتاح لكل ذي رأي فرصة يعرض فيها رأيه ويحاول اقناع الاخرين به ما استطاع وسط هذه الخلافات مهما بلغت حدتها يستطيع الرأي الصائب أن يظهر ويتغلب على غيره
- من حق الفرد أن يعرف فهو حق طبيعي كحقه في الماء والهواء ولكي يمارس هذا الحق الطبيعي لابد للصحافة أن تتمتع بحريتها كامله دون قيود تأتي من خارجها
- أن حق الفرد أن يعرف يصبح لا معنى له اذا لم يكن لذلك الفرد الحق في أن يختار ما يريد أن يعرفه وهذا الحق لا يتحقق.

من خلال العرض السابق تبين لنا ان نظرية الحرية ورغم الجهود والنضالات التي بذلت في ارساء مبادئ الحرية السياسية والحرية الإعلامية في مواجهه بقايا النظام التسلطي او النظرية التسلطية الا ان ما بعد

التسلطية دام صراع مرير حتى تم ارساء مبادئها على الاقل في دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة، وبقينا نحن شعب العالم الثالث نرزح تحت نظرية السلطة، لكن هذه النظرية للأسف كما يقول خبراء الاعلام بعد أن كانت عنوان لحرية العمل وحرية الاختيار لم تلبث أن ضعفت لظروف العالم الرأسمالي نفسه في تطوره فنجد أن حرية الفرد ما لبثت أن اختفت وذابت في الليبرالية الاقتصادية بل وقزمت نفسها لتعمل لحمايه ليبرالية الاحتكارات العالمية، كما أن مفهوم الحرية تدرج في المجال الاعلامي من حمايه حقوق الانسان الى حمايه المكاسب الاحتكارية، وذلك كانت تطورا طبيعيا في بداية الرأسمالية وتطورها حيث تحالفت الرأسمالية مع قوى الشعب ذات الاستبداد والاقطاع.

أي أن نظرية الحرية انتصرت في مقومات التحول الرأسمالي ثم عندما اشتد عود الرأسمالية بدا بالتكشير عن أنيابها ومارست عمليه منظمة لاستغلال الانسان والحرية معا، وبدأت تتشكل وتتحالف مع مصالحها ضد مصالح الجماهير والشعوب حرصا على مكاسبها خاصه بعد ضياع المستعمرات منها أي أن تكتل رؤوس الاموال في مشروعات كبرى غير منافسة تحقيقا للحصول على أكبر قدر ممكن من الربح تجنبا لأقل احتمال الخسارة والتمكين للسيطرة على الأسواق العالمية سرعان ما قضى على المفهوم السابق للحرية، بالقضاء على شرطيه الأساسيين وهما: الفردية والتنافسية، وفي هذه المرحلة من مراحل تطور رأس المال تمكنت الاحتكارات أن تفرض سيطرته على المجتمعات الغربية بدرجه متفاوتة تبعا لمدى المقاومة الشعبية التي تصدت لها والتي اختلفت من بلد لأخر وفقا لاختلاف درجات الوعي بين الشعوب، وكان طبيعيا أن تدرك الرأسمالية الاحتكارية خطورة أجهزه الاعلام فبذات تسعي لاحتوائها لتكون سلاحا في تحقيق أغراضها ولتجنب ما قد يترتب على وقوفها ضدها.

من جهة اخرى فإن نظرية الحرية ترى أن وسائل الاعلام وسيلة تراقب أعمال وممارسات أصحاب النفوذ للقوه في المجتمع، وتدعو هذه النظرية إلى فتح المجال لتداول المعلومات بين الناس بدون قيود من خلال جمع ونشر واذاعه هذه المعلومات بين الناس عبر وسائل الاعلام كحق مشروع للجميع ومن هذا المنطلق كانت أهداف هذه النظرية تنحصر فيما يلي:

1. أن تقوم الصحافة بخدمه الفرد وأن تؤدي إلى التغيير
2. أن تقوم الصحافة بنقد الحكومة والرقابة على السلطة التنفيذية
3. اعتبرت أن الانسان قادر في الاعتماد على نفسه

4. الانسان مشروع متكامل له كيانه المستقل وقدرته على التمييز بين الخطأ والصواب
5. على الافراد ألا يثقوا بالحكومات لكي تحدد لهم الصواب والخطأ فالبحث عن الحقيقة هو من مسؤوليات الانسان نفسه
6. تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح المادي من الاعلان والترفيه والدعاية مراقبه الحكومة وكشف العيوب والفساد

ومن ناحية أخرى فالفكرة الجوهرية لهذه النظرية تنطلق من ايصال الحقيقة للناس وعدم الخضوع لأي شكل من أشكال الرقابةسواء داخليا أو خارجيا، والأهم من ذلك حماية حرية الصحافة والدفاع عن وجوديتها من خلال البث المباشر بدون اي رقابة قبلية أو بعدية.

خصائص نظرية الحرية:

1. ملكيه الافراد للإعلام وللصحافة
2. اصدار الصحف غير مشروط بترخيص أو اخطار
3. لا يشترط دفع تأمين مادي قبل الإصدار
4. للمواطن الحق في ممارسه العمل الصحفي بغير شروط
5. القضاء هو المخول في اصدار العقوبات على الصحافة
6. لا يحق لأي سلطه في المجتمع ومن بينها السلطة القضائية الغاء الصحف
7. يمنع فرض الرقابة على الصحافة
8. يسمح للصحافة بنقد رئيس الدولة
9. يسمح للصحافة بنقد نظام الحكم

فلاسفه نظرية الحرية

من بين أبرز فلاسفة نظرية الحرية يمكن أن نشير إلى:

- **جون لوك:** وهو من أشهر الفلاسفة الذين تعرضوا لشرح هذه النظرية، فقد تركت افكاره آثارا بعيده المدى على جميع المفكرين الذين جاءوا من بعده وقد انبثقت افكار **لوك** من خلال ما يلي" بأن الشعب هو مصدر السلطات، وأن الحكومات ليست إلا هيئات من الأوصياء اختارها الشعب وفوض اليها أمره وأن حق الشعب دائما أن يسحب هذه السلطة متى شعر بأن الحكومة لا تعمل لصالحه"،

وقد لقيت أفكار **لوك** هذه التقدير من المثقفين وعلى ضوء ذلك تغلغلت افكاره في الثورتين الفرنسية والامريكية واقتبست كثير من أفكاره التقدمية ومن الفلاسفة الذين ساهموا بجهود كبيره في مؤازره افكار لوك فلاسفة اخرون نذكر من بينهم.

- **جون ميلتون:** جاءت أفكاره على شكل كتاب **Areopayiticu** صدر عام 1644 ،تناول أبرز المناقشات التي دارت حول فلسفه الحرية كتبه تحت الشعور بالكراهية للرقابةعلى الصحافة وذهب فيه الى: "أن الانسان لا يستطيع أن يصل إلى الصواب في مسأله من المسائل حتى يستمع الى آراء المخالفين والمعارضين له ذلك ان الحقيقة لا تضمن لنفسها البقاء الا اذا أتيحت لها الفرصة لان تتقابل وجها لوجه مع غيرها من الحقائق في صراحه كامله وحريه تامه" ولكن ميلتون إشترط تحقيق هذا المبدأ بأنه مقصور فقط على المفكرين والفلاسفة والعقلاء وذوي الثقافة العالمية والآراء المخلصة بشرط ألا تكون هذه الآراء خاضعه للحكومة.
- **جون ريكسين:** من أشد المدافعين عن الناشرين والطابعين في القرن 18 ،وكان أول من نظر لمعالجه الأزمه التي جرت ما بين الحكومة والطباعة في ذلك الوقت ومن أشهر ما قاله: "أن كل انسان يسعى لتنوير الآخرين لا للتظليل بهم من حقه أن ينشر كلما يدور بعقله وما يختلج ضميره سواء كان ذلك في الموضوعات الحكومية او الموضوعات الخاصة"
- **جون استورات ميل:** انطلقت فلسفته من قاعده المنفعة، حيث اعتبر من حق الفرد الناضج في المجتمع أن يفكر ويتصرف كيفما يشاء ما دام لا يؤذي الاخرين بتفكيره وتصرفاته وما دام هذا التفكير والتصرف يحقق مصلحته كما واعتبر أن جميع التصرفات الانسانية يجب أن تهدف الى البناء والوصول إلى حياه افضل وسعادة أكبر ذلك ان المجتمع الفاضل والمجتمع الذي يتمتع فيه اكبر عدد من افراده بأعلى ما يمكن من درجات السعادة والرفاهية لكي يضمن المجتمع مساهمه افراده في تحقيق الهدف ويصل الى ما شاءوا من قرارات في سبيل الهدف.
- **جيفرسون:** فيلسوف وسياسي أمريكي حلم بوجود حكومة تكفل الامن وتمنح الفرص المتكافئة للأفراد في المجتمع وقد وضع جملة المبادئ الاخلاقية والسياسية وأهمها:
  - ❖ أن الأفراد قد يخطئون في التفكي
  - ❖ أن في وسع الاغلبية العظمى أن تصل إلى قرارات حكيمه ما دامت تقرأ الصحف فهي المصدر الرئيسي للمعلومات التي يحصل عليها الفرد في المجتمع

- ❖ طالب **جفرسون** بتوفير الاجواء المناسبة لحرية الصحافة
- ❖ على الصحافة أن لا تخضع لرقابه الحكومة كما وطالب بعدم التدخل في شؤون الصحافة والاعلام
- ❖ إن الحكومة التي لا تصمد أثناء مواجهة النقد عليها أن تسقط وتفتح الطريق لحكومة اخرى من منطلق ان القوة الحقيقية لأي حكومة انها تكمن في مواجهه النقد برحابة صدر

ما الذي قدمته نظرية الحرية على صعيد حريه الصحافة والاعلام؟

لقد ارتبطت حرية الصحافة بالفلسفات الغربية التي نادت بحرية الفرد وقمع الاستبداد وعارضت تفرد الآراء، في هذا الصدد يؤكد أبرز فلاسفة هذه النظرية بالقول أن تخريس الرأي هو سطو على البشرية جمعاء ويضيف أن الرأي الذي يتم خنقه اذا كان صائبا نكون قد خسرنا هذا الرأي، واذا كان هذا الرائي خاطئا نكون قد خسرنا معركه أو ميكانيزمات الصراع ما بين الخطأ والصواب، والتي تولد بالضرورة الرأي الصواب وهذا ما قصده **جون ميلتون** بميكانيزمات التصحيح الذاتي والتي تعني أن الفكرة الصائبة هي التي تتفوق وتتجاوز الفكرة الخاطئة عندما تتاح الفرصة للفكرتين بالتداول والانتشار، أي أنه يطرح فكرة السوق الحرة للأفكار كألية لتداول وطرح الأفكار.

ومن هنا فان حرية الصحافة أول ما نشأت تمثلت في صراع ما بين الصحافة وشكل من أشكال السلطة والمتمثل في الكنيسة في العصور الوسطى، ثم تحولت إلى الحكومات وبالمجمل فان حرية الصحافة هي كسر القيود عنها وهذا ما هو موجود في الدستور الامريكي عام 1791 والذي يؤكد على أن الكونجرس هو المؤسسة التشريعية الذي لا يجب أن يصدر قوانين تتعارض مع حريه التعبير أو حريه الصحافة.

ومن جهة أوضح **جان كين** في كتابه الصادر 1991 وتحت عنوان **الاعلام والديمقراطية** حيث تناول الجدل الدائر حول حريه الصحافة ولخصها في أربع اتجاهات:

- **الاتجاه الأول:** الاتجاه الديني قد مثله **جون ميلتون** في منتصف القرن 17 وقد عارض القيود على حريه التعبير من منطلق أن الفرد رجل أة إمراه قد باركه الله بنعمة العقل ومكنه من القراءة والحكم المبني على الضمير ومن هنا حريه الصحافة ضرورية لكونها تساعد على تطوير نوازع الخير لدى الفرد، وينبغي أن تتعرض للاختبار بصفه منتظمة لاحتوائها على آراء متباينة وخبرات منوعة
- **الاتجاه الثاني:** هو الاتجاه النفعي وقد مثل كل من **بينثام وميل**، وكلاهما يعتقد أنه من أجل أن يعمل النظام السياسي بشكل اعتيادي يجب أن تكون في المجتمع ميكانيزمات تفعيل التعبير عن

الرأي العام، ويرى كل منهما أن تكون في المجتمع أو الرأي العام هو الضمانة الرئيسية لعدم استخدام الحكم أو اساءه استخدام التشريع في المجتمع، وهكذا حريه الصحافة تهيئ وتخدم التعبير عن الرأي العام ويضيف **ميل** أن الشعب لا يستطيع أن ينتقد الحكومة اذا لم تقدم له المعلومات الكاملة عن الشخصيات التي تدير الشأن العام للمجتمع وهذه مهمه الصحافة الحرة

- **الاتجاه الثالث:** وهو الاتجاه السياسي ومثله **جون لوك** في مطلع القرن 18 حيث توصل ألى أن حريه الصحافة يجب أن تنطلق من مبادئ حقوق الانسان في كل مناحي الحياة، من حق الفرد أن ينشر ويعبر عن آرائه بدون قيود تفرضها الحكومات.
- **الاتجاه الرابع:** وهذا الاتجاه مثله **ستوارت ميل** حيث وجهه انتقادات للاتجاه النفعي وجعل حرية الصحافة تابعه للبرغماتية ويرى **ميل** أن التداول الحر للأنباء من خلال الرأي العام هومطلب أساسي لمجرد الوصول إلى الحقيقة

ومن هذا المنطلق فقد تبنى المؤسسون الأمريكيون افكار **ستوارت ميل** وجعلوها منطلقا لفهمهم عن دور الصحافة في المجتمع ونادوا بحريه الصحافة، ويعتقد الكثيرون أن هذا الفكر الذي طرحه **ميل** في هذا الخصوص يعطيه الأبوة الشرعية للصحافة الليبرالية في العالم.

كما وأشار **ثوميسون** إلى أن حريه التعبير عن الآراء من خلال الصحافة مستقلة والضمان الأساسي لتنوع جهات النظر وما يتبع ذلك من تنوير لآفاق الرأي العام، وتلعب الصحافة الحرة المستقلة دورا محوريا في حراسة المجتمع ومؤسساته.

وهنا ندخل في موضوع آخر في ذات السياق **ما الذي ارسلته النظرية الليبراليه في حقل حريه الصحافة والاعلام؟**

انبثقت النظرية الليبرالية كما أشرنا فيما مضى على أساس أن الانسان كائن عاقل، وهو يستطيع أن يميز ما بين الخير والشر، والاعلام الصحافة دخلا ميدان فكر السياسي الليبرالية وخاصه أن الانجليز هم أول من اطلق ألقاب مكملة و موازية لتسميات **مونتيسيكيو** وهي السلطات الثلاثة: التشريعية والتنفيذية والقضائية، ومن هنا جاءت الصحافة لتكون بمثابه **السلطة الرابعة**، وأطلق الانجليز على الصحافة **بصاحبه الجلالة**، وقد أطلق هذا المصطلح عضو البرلمان البريطاني **بورك** الذي تحدث في احدى خطبه البرلمانية في السبعينيات من القرن الثامن عشر إلى الصحافيين الجالسين في المكان المخصص لهم قائلا: "**انكم السلطة الرابعة في**

المملكة" وبعد 40 عاما من هذا الخطاب عبر البرلماني البريطاني **ماكلاي** في مقاله حول الدستور البريطاني حيث أورد العبارة التالية: **السلطة الرابعة في المملكة.**

ان هذه المؤشرات اعطت الضوء الاخضر لخلق البيئة التشريعية والقانونية استقلال حريه الصحافة واعتبارها عاملا استكمالا للهيئة الدستورية فجاءت الفلسفة الليبرالية نتيجة جهود هؤلاء المفكرين وغيرهم في القرنين السابع عشر والثامن عشر وهي النظرية الكامنة وراء نظام المجتمع الغربي.

إن السلطة الرابعة هي حركه الرأي العام الذي يستطيع أن يفرض رأيه عند الضرورة على كل السلطات الدستورية، وجاء التصاق الرأي العام بالصحافة لأنها هي القادرة بالدفاع عنه وتحريكه ضد أي اعتداء دستوري يتعرض له الشعب اي ان الليبرالية السياسية ونظرياتها ساهمت في في خلق الواقع الاعلامي والصحافي الجديد، وأصبح للإعلام وللصحافة تأثير واقعي على تكوين قرارات الدولة في الماضي والحاضر والمستقبل.

ومن هذا المنطلق فقد ظهر التطورات ساهمت في بروز نظرية الليبرالية السياسية والإعلامية منذ القرن 17 والى يومنا هذا يمكن اجمالها فيما يلي:

- **التطورات الثقافية والتعليمية:** ساهم التعليم في تطور العلاقات والارتباطات العشائرية الى القوميات ونشوء الآداب والفنون والحاجة الثقافية بين صفوف الفئات الاجتماعية.
- **التحولات السياسية:** حيث انخرط الشعب في الحياة السياسية بشكل لم يسبق له مثيل وتشكلت الأحزاب السياسية والمنظمات الاجتماعية وتغير نطاق حريه المواطنين بما في ذلك حريه الرأي والتعبير والصحافة.
- **التحولات الاجتماعية:** والتي تتمثل في نشوء وتحرر فئات وطبقات جديده وبروز القوى السياسية في بلد معين وفي العالم وحدوث تحولات في النظم الاجتماعية والسياسية.
- **التحولات التكنولوجية:** وتتمثل في تطور تقنيه تجميع المعلومات وطبعها ونشرها بدءا من العمل اليدوي في القرون الوسطى وصولا الى الاقمار الصناعية وتكنولوجيات الاعلام والاتصال في وقتنا الحالي.

إن الاسس الفكرية التي انطلقت منها النظرية التحررية الليبرالية تنبثق من فكرة الحقوق الطبيعية للإنسان ومن أهمها:

- حق الفرد في معرفه ما يجري حوله دون حدود أو شروط

- حق الانسان في معرفه الحقيقة ولا يمكن أن يصل إلى ذلك الا اذا توفر للأفراد حقهم في التعبير عن آرائهم ومناقشه ما يجري حولهم بحريه تامة
- وسائل الاعلام هي السوق الحرة للأفكار والآراء والمعلومات.

ومن هذه الأسس فان وظائف العملية الإخبارية في نظرية الحرية تنبثق من مجموعه من النقاط:

- نقل الحقيقة كاملة دون حدود أو قيود
- اثارة اهتمام القراء لكي يقبلوا على شراء الصحيفة أو المشاهدة والاستمتاع.

كما أن تعريف الخبر في ضوء نظرية الحرية جاء على الشكل التالي: **جمع الحقائق عن الاحداث التي تجري والتي تثير الاهتمام للقراء أو المشاهدين أو المستمعين، أو هو تقرير آني عن شيء يثير الانسان ولكن عليه أن يمتاز بالجدية والحداثة الصدقية**

الانتقادات التي وجهت للنظرية اليبيرالية:

تعرضت نظرية الليبرالية لمجموعه من الانتقادات حيث اعتبر علماء الاعلام بأن نظرية الحرية لا وجود لها في الواقع الرأسمالي وإنما هي ولدت ألا ثم أصبحت سرابا ولا وجود لها في ثنايا كتب الفلسفة وأن هذه المبادئ بلعتها الاحتكارات الرأسمالية المتوحشة والشركات العابرة للقارات، ومع ذلك فقد وجهت لهذه النظرية جمله من الانتقادات على رأس هؤلاء العلماء الذين انتقدوا نظرية الحرية **ثيودور بيترسون** وخاصة وظائف أجهزه الاعلام في ظل النظم التحررية الرأسمالية على النحو التالي:

- إن أجهزه الاعلام تستغل قوتها الهائلة في خدمة أهدافها الخاصة فيروج أصحابها لآرائهم وخاصه في الشؤون السياسية والاقتصادية على حساب المعارضة
- أن تضع نفسها في خدمه الاهداف الرأسمالية الكبيرة وطالما سمحت للمعلنين توجيه سياسه التحرير ومادته
- إنها تقاوم أي محاوله لتغيير المجتمع
- إنها كثيرا ما تضفي اهتماما بالغا في الأمور التافهة والمثيرة اثناء تغطيتها للأحداث الجارية،وغالبا ما تتسم ابوابها الترفيهية بالسطحية
- أنها تعرض الأخلاق العامة للخطر
- أنها تقحم نفسها في حياه الأفراد الخاصة دون مبرر عادل

- أن هناك طبقه اجتماعيه واقتصاديه واحده تتحكم في الصحافة هي طبقه اصحاب الشركات الاحتكارية وقد أصبح من الامور البالغة المشقة دخول أناس جدد إلى ميدان الاعلام مما يعرض سوق الفكر الحر لخطر اكيد.

الفرق بين نظرية السلطة ونظرية الحرية الليبراليه:

بعد هذا العرض عن النظريتين الاستبدادية السلطوية والليبرالية قد توصل مجموعه من الباحثين إلى هذه المقارنة:

- ان نظرية السلطة تعتبر الفرد تابعا للدولة وبدونها لا يستطيع الابداع أو الانتاج أي أن الفرد هو شخصيه غير مستقله الا بتدخل الدولة، بينما في نظرية الحرية فقد حصل الفرد على استقلال شخصيته كما أن الفرد هو انسان عاقل على ضوء حريه الحرية النظرية الحرية يميز ما بين الخير والشر أي الصواب والخطأ.
- الدولة في مفهوم نظرية السلطة تعلو على الفرد، بينما في النظرية التحررية وجدت لخلق المناخ المناسب لتنميه مواهب الفرد وسعادته
- نظرية السلطة تضع القيود متى شاءت تحد من حريه الاعلام وخاصه في أوقات الحرب والسلم معا، بالمقابل فان نظرية الحرية لا تجد حرجا في وضع الحدود إلا في أوقات الحرب والأزمات

خلاصة:

الحديث عن نظرية الحرية: أن الصحافة والاعلام في ظلها امتازت بحريه كبيرة، لا تكاد تعرف من القيود الا قيد فرض الرقابة على الاعلام وخاصه في أوقات الحرب والأزمات من خلال التفاهم ولذلك، تعرضت لانتقادات شديده مما استدعى البحث عن نظرية أخرى تعالج نقاط الضعف في هذه النظرية من منطلق أن الحرية المطلقة ستنتج فوضى عارمة وليست فوضى خلاقة.